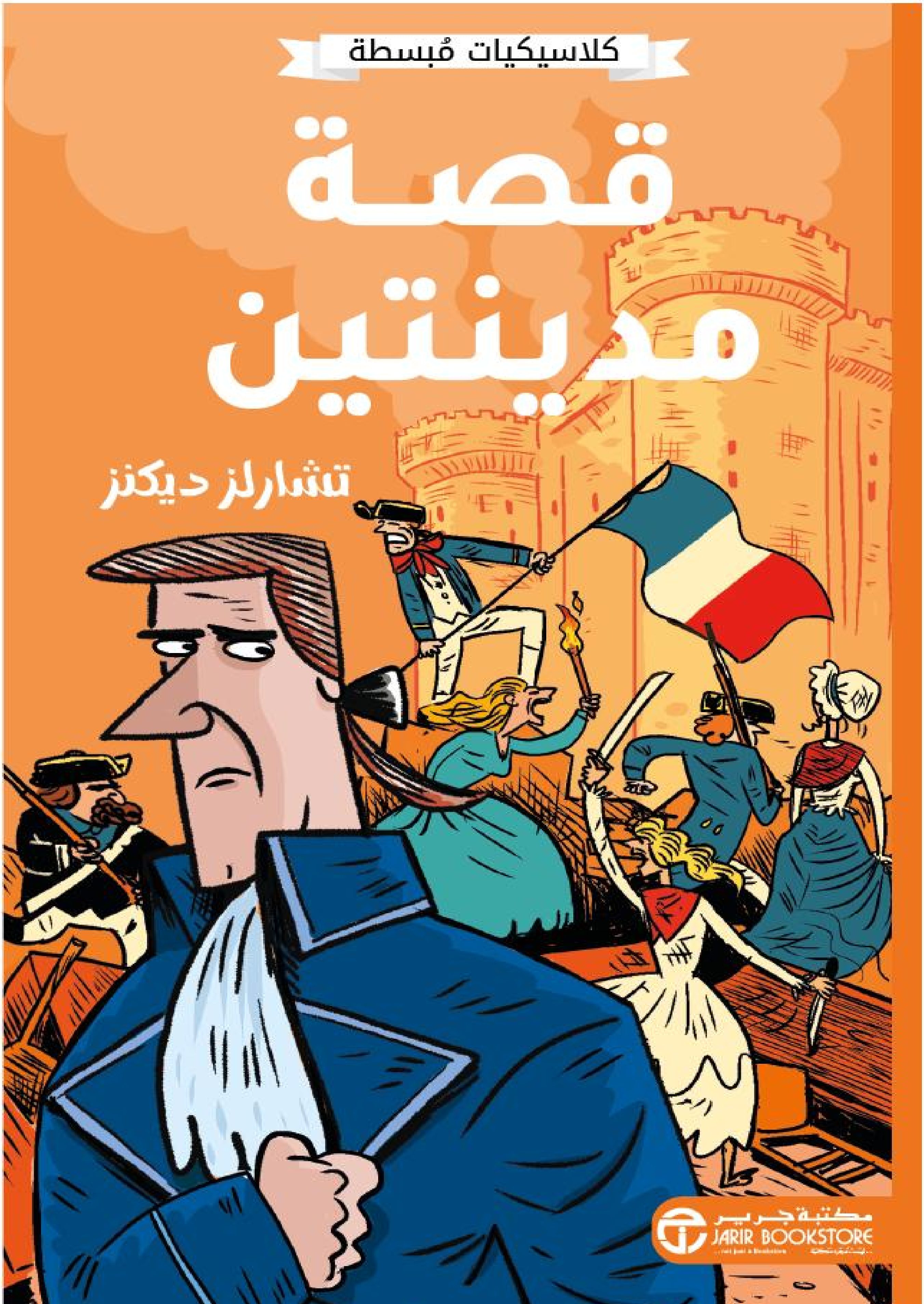
الغلاف الأمامي



الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
قصة مدينتين
تشارلز ديكنز
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

تشارلز ديكنز

مجموعة تشارلز ديكنز القصصية



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

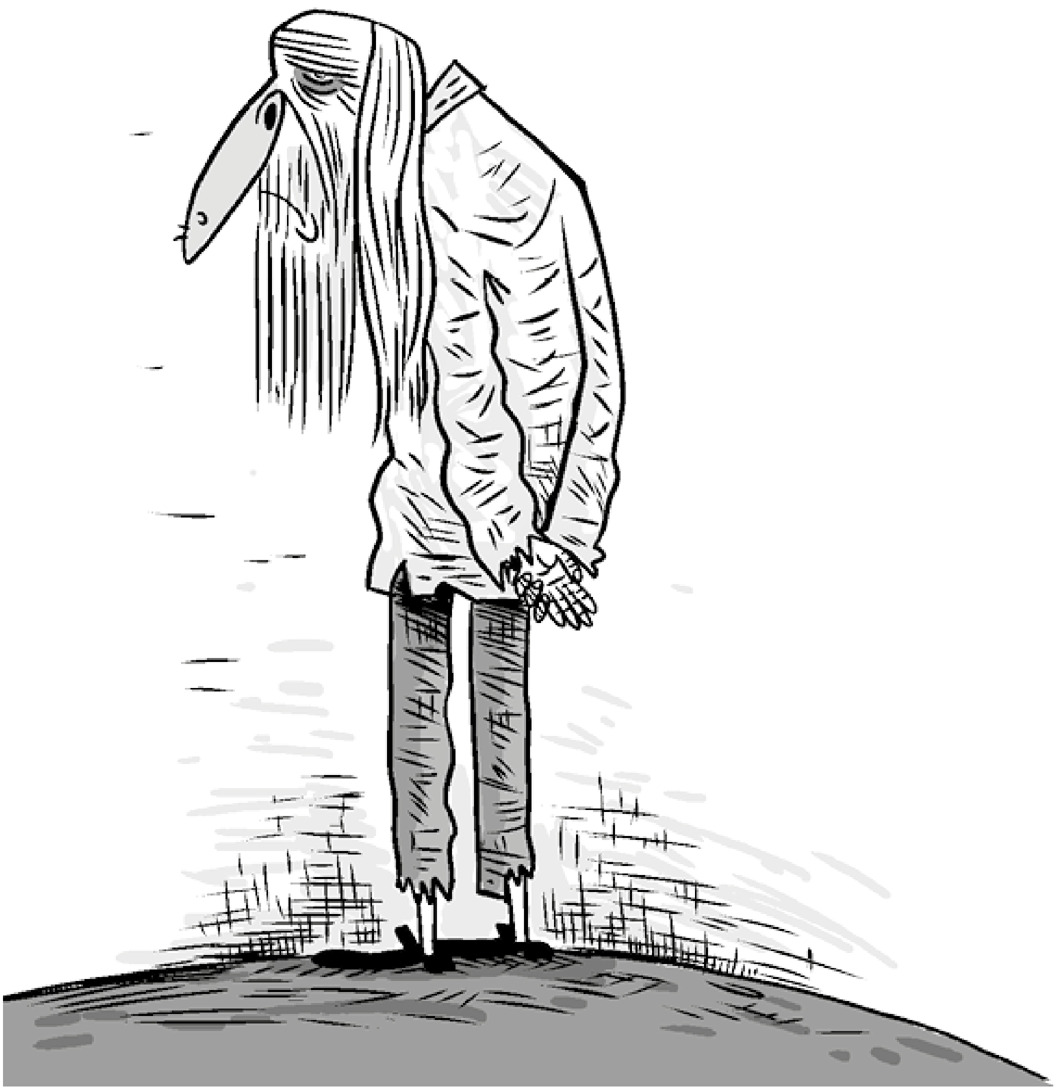
تشارلز ديكنز

قصة مدينتين



باريس

في باريس، قبل زمن بعيد جدًّا، أُطلق سراح طبيب يدعى ألكساندر مانيت، بعد سجنه لمدة ثمانية عشر عــامًا، ولم يكن قد سُجن لجريــمــة اقترفها، وإنمــا لــدفاعه عما آمــن بــه.

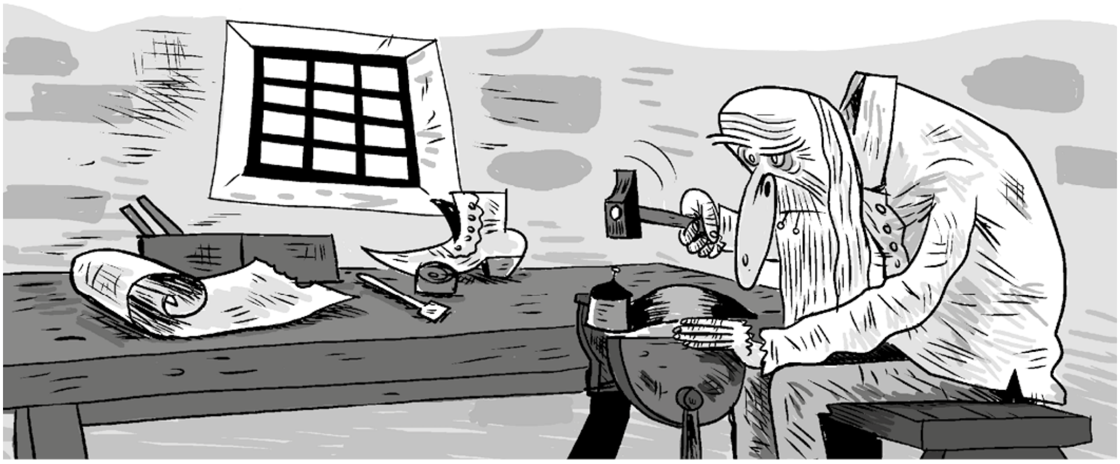


ففي أثناء دفاعه عما آمن به، خلق عداوة مع شخص له نفوذ وكلمة مسموعة، فألقى به في السجن. في تلك الأيام، كان الأثرياء وأصحاب النفوذ يحكمون فرنسا، وكان البسطاء يعانون الفقر والجوع، ولكن مشاعر الغضب واليأس كانت تتأجج

تحت السطح. وخلال بضع سنوات، اندلعت الثروة، التي مات على إثرها ملك وملكة فرنسا، فضلاً عن كثير من الأثرياء وأصحاب النفوذ.



تبدأ قصتنا قبل بضع سنوات من اندلاع الثورة، بعــد إطلاق ســراح الطبيب ألكساندر مانيت من السجن؛ حيث انتقل إلى غرفة فوق إحدى الحانات، بحي فقير في باريس؛ يملكها السيد ديفارج وزوجته، وكانا صديقين له.



كــان للتــجربة القــاسية التــي عاشها الطبيب في السجن أثر عميق في نفسه، ولكن الشيء الوحيد الجيد الذي حدث له هناك هو أنه علَّم نفسه كيفية صناعة الأحذية. فكان يجلس على الطاولة التي يعمل عليها ممسكًا بأدواته؛ كما لو

كانت الشيء الوحيد في العالم بأسره الذي يمكنه الوثوق به.

وذات يوم، انفتح باب غرفته العلوية المظلمة، ودخل السيد ديفارج ومعه شابة جميلة ورجل أكبر قليلاً.

قال السيد ديفارج: «لديك زوار».

لم يرفع مانيت عينيه من فوق الطاولة التي كان يعمل عليها.

قال السيد ديفارج: «هذا السيد النبيل يعرف الحذاء متقن الصنع بمجرد رؤيته. أره الحذاء الذي تعمل عليه يا مانيت».

أمسك الرجل؛ وكان يدعى جارفيس لوري، الحذاء بيده.



قال ديفارج: «أخبره أي نوع من الأحذية هو، واسم صانعه».

قال الطبيب بهدوء، دون أن ينظر لأعلى: «إنه حذاء سيدة».



- «وما اسم صانعه؟».

أجابه الطبيب: «مائة وخمس؛ البرج الشمالي».

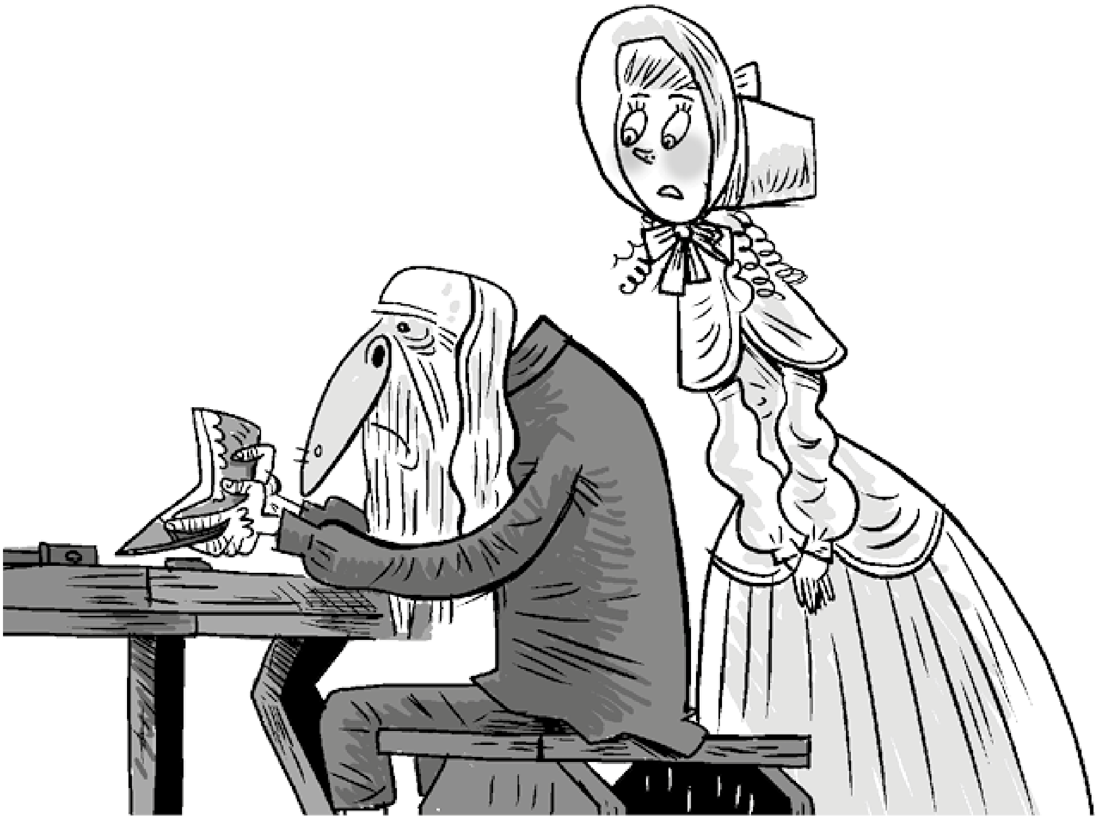
أدرك السيد لوري أن مانيت كان يتحدث عن رقم زنزانته القديمة في السجن بدلاً من أن يذكر اسمه.

كرر الطبيب كلامه: «مائة وخمس؛ البرج الشمالي».

قالت الشابة الصغيرة: «هل تعـرفني أيها الطبيـب؟».

ظلَّ الطبيب مستغرقًا في عمله ولم يهتم أن ينظر إليها.

تحركت السيدة نحوه، ورغم صغر سنها، وكبر سنِّ الطبيب؛ كان من الممكن لكل من يراهما معًا أن يدرك مدى التشابه بينهما.

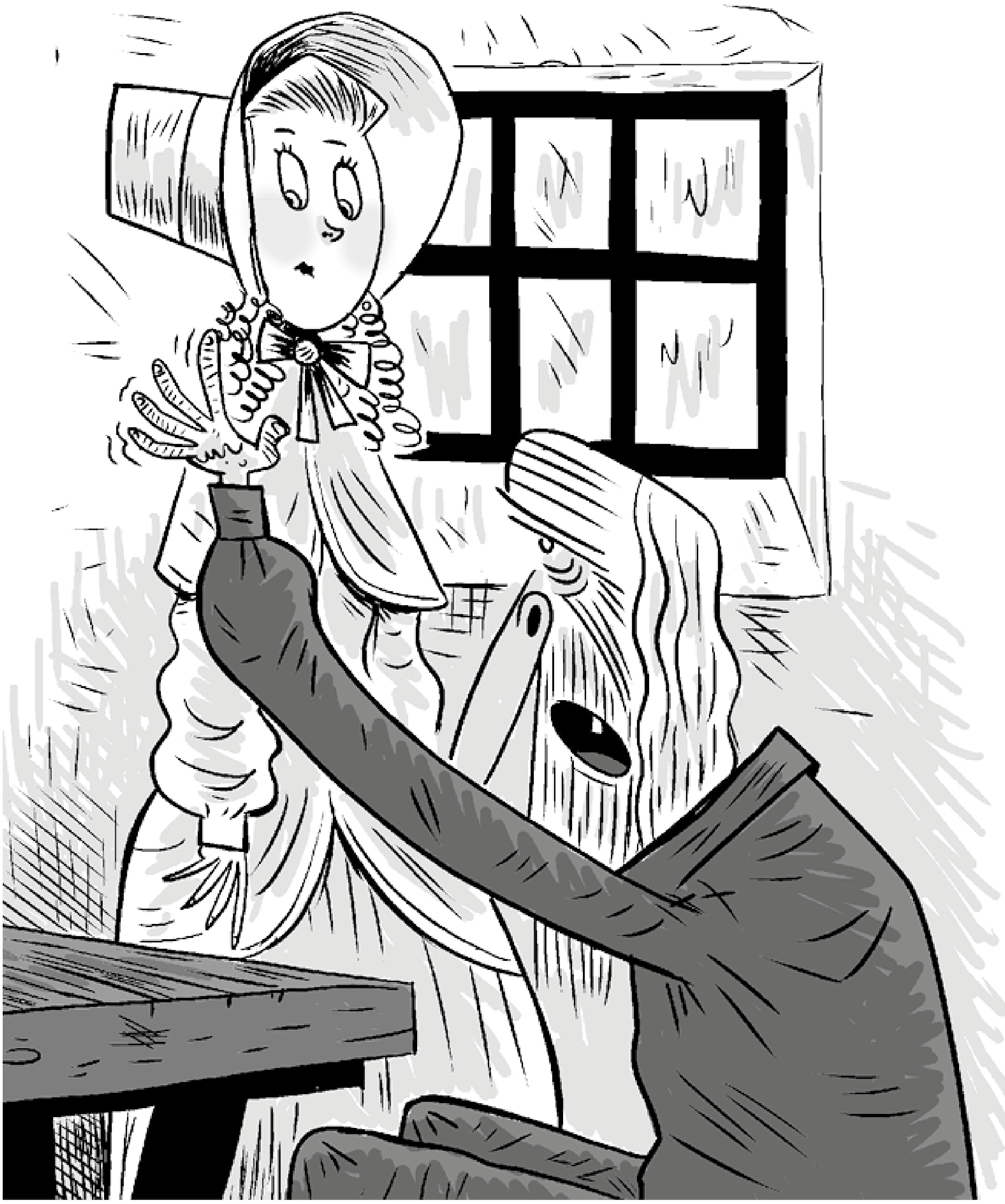


سقطت عينا صانع الأحذية على طرف ثوبها وهي تقترب منه؛ فنظر لأعلى وحدق النظر في وجهها.

سأل في غموض: «هل أنت ابنة السجان؟».

كانت السيدة الشابة تدعى لوسي. وكان شعرها الذهبي ينسدل على رقبتها، فنهض صانع الأحذية من مكانه، وأمسك بخصلة من شعرها وأمعن النظر فيها، فوضعت لوسي يدها على كتفه.

أخذ السيد ديفارج والسيد جارفيس لوري يراقبان المشهد من مدخل الغرفة، دون أن ينطقا بكلمة.



خلع صـانع الأحـذية شـريطًا أســود معلقًا حول رقبته، مربوطًا فيه قطعة قماش. ثم فتح قطعة القماش بحرص شديد، وهو جالس على ركبته، وكان بداخلها خصلتان طويلتان من شعر ذهبي.



أمســـك الطبيب بخصــلات الشابة الذهبية ثانية، وتحول ببصــره مـــن الخصلتين إلى الخصلات التي يمسكها بيـده.

سأل في تعجب: «إنها الخصلات نفسها، كيف ذلك؟ لقد وضعت رأسها على كتفي في تلك الليلة عندما أخذوني، وعندما أحضروني إلى البرج الشمالي، وجدت هذه الخصلات على كتفي. فاحتفظت بها منذ ذلك الوقت كي تذكرني بـ...».

سالت الدموع من عيني صانع الأحذية، فعجز عن مواصلة كلامه، وطوقته لوسي بذراعيها.

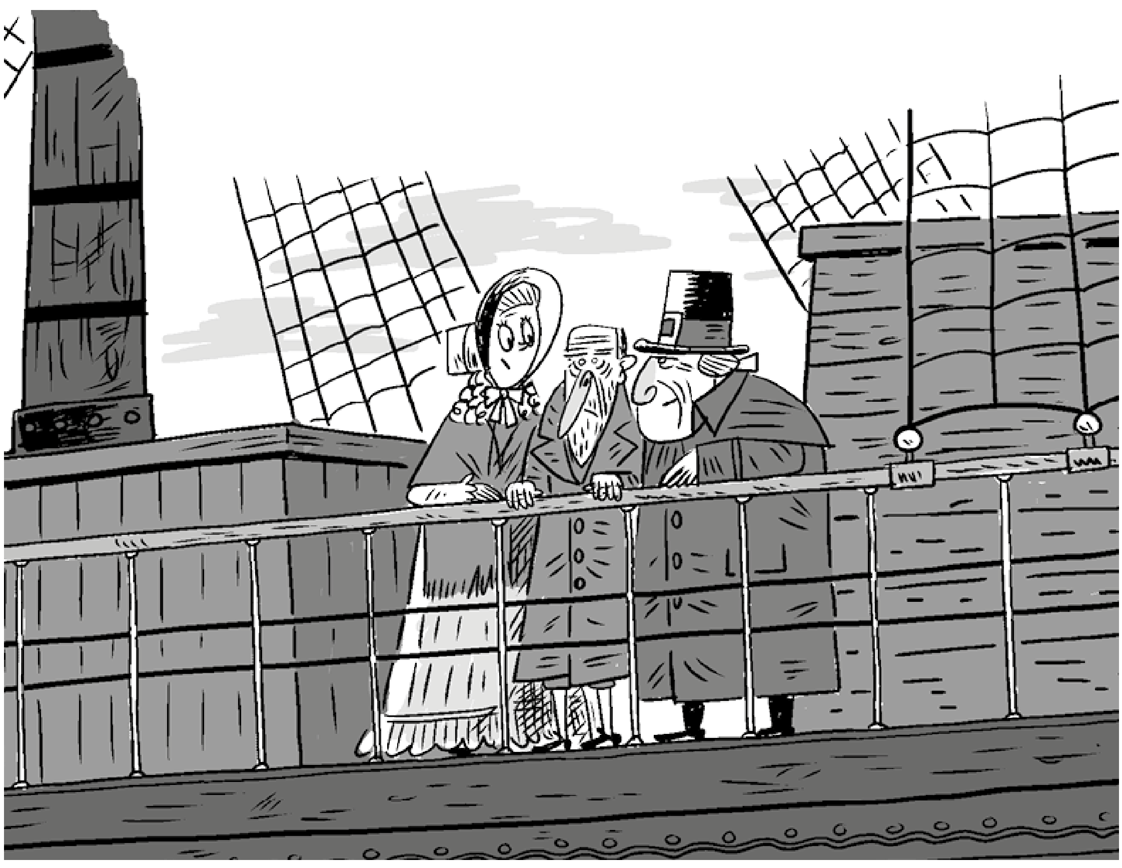
قالت له: «لقد جئنا لنأخذك من هنا»، وكانت توشك على البكاء هي الأخرى، وأضافت: «سنسافر إلى إنجلترا؛ إلى لندن».



كانت لوسي ابنة الطبيب مانيت، لكنه لم يرها منذ كانت طفلة صغيرة بشعر ذهبي. وقد توفيت والدتها؛ وكانت سيدة إنجليزية، بعد وقت قصير من سجن زوجها. فأخذها الوصيُّ عليها؛ وهو السيد جارفيــس لوري لتعيش في إنجلترا. ومنذ ذلك الحين، ولوسي لم ترَ والدها حتى هذا اليوم، في تلك الغرفة العلوية بباريس. بعد وقت قصير، كان الثلاثة؛ الأب والابنة والوصي، يركبون العربة التي ستأخذهم إلى خارج باريس بعد أن ودَّعهم السيد ديفارج وزوجته.



عندما وصل المسافرون إلى كاليه في الساحل الفرنسي، ركبوا مركبًا إلى دوفر.
كان مانيت لا يزال ضعيفًا ومضطربًا، وكان هناك عدد قليل من المسافرين، من بينهم شاب فرنسي وسيم يدعى تشارلز دارني.



أشفق تشارلز لحال الطبيب، فكان يعاملهما معاملة طيبة، وساعدهما على إيجاد مكان آمن على متن السفينة الصغيرة وقد شكرته لوسي على اهتمامه بهما



عاشت لوسي مع والدها في لندن في سعادة، ويومًا بعد يوم، بدأ يسترد عافيته، وتتحسن صحته. وكانت لوسي تفكر في تشارلز دارني في بعض الأحيان، رغم أنها لم تتوقع أن تراه ثانية.



لندن

كانت أولد بايلي؛ محكمة المجرمين في لندن، مليئة بأشخاص جاءوا ليشهدوا محاكمـة أحد الجواسيس، فتجمعت الوجـوه حـول القضبان لرؤية الشخص الواقف في قفص الاتهام.

كان شـابًا وسـيمًا، فـي الخامسة والعشـرين مـن عمره، وكان يدعى تشارلز دارني؛ الرجل الفرنسي الذي ساعد الطبيب مانيت ولوسي في تلك السفينة قبل أربع سنوات.

المشكلة أن تشارلز دارني كان فرنسيًّا، وكانت بريطانيا وفرنسا في حالة حرب، ما جعل العلاقة بين البلدين متوترة للغاية، وبدت تصرفات دارني مثيرة للريبة.

وضد رغبتهما، استُدعي الطبيب مانيت ولوسي للشهادة ضد تشارلز دارني. وطرح المحامي، الذي كان يحاول إثبات أن دارني كان جاسوسًا فرنسيًّا، سؤاله الأول.

- «آنسة مانيت؛ هل رأيت السجين من قبل؟».

أجابته لوسي: «نعم يا سيدي».

- «أين؟».



- «على ظهر السفينة التي أحضرتني أنا وأبي إلى إنجلترا».

- «هل تحدثت مع السجين في تلك الرحلة التي عبرت القنال؟».

- «نعم يا سيدي».

- «أخبرينا عما حدث».

قالت لوسي، وهي تنظر بإعجاب إلى تشارلز دارني الواقف في قفص الاتهام:

«عندما جاء الرجل النبيل إلى السفينة -» قاطعها المحامي قائلاً: «النبيل؟ تقصدين السجين؟».

- «نعم يا سيدي».

- «إذن قولي السجين».

- «عندما جاء السجين إلى السفينة، لاحظ أن أبي كان مريضًا للغاية. وكان السجين طيبًا ولطيفًا معنا».



قال المحامي: «لا يهمنا كل ذلك. هل أخبرك السجين بأنه مسافر تحت اسم مستعار؟».

- «أخبرني بأنه كان يسافر في عمل سري قد يوقع الناس في مشكلات، ولهذا السبب لم يستخدم اسمه الحقيقي».

وعندما لاحظت وقع كلماتها على دارني، بدأت في البكاء.

قالت في توسل: «السيد دارني رجل طيب، أنا واثقة من ذلك».

قال لها المحامي: «لا يهمنا ذلك أبدًا».

كان آخر ما يريده المحامي من كلمات لوسي أن تقنع هيئة المحلفين ببراءة تشارلز دارني.



ثم حدث شيء غريب.

استُدعي شاهد آخر قال إنه رأى دارني يحوم حول المرفأ، وقال إنه ظن أن الرجل الفرنسي كان يتجسس على الجنود والبحارة الذين يعملون هناك.

كان المحامي الذي تولى الدفاع عن دارني يُدعى السيد ستريفر، وكان يجلس إلى جواره رجل غير مهندم، وقد جلس في استرخاء على الدكة؛ فوكز السيد ستريفر هذا الرجل وهمس في أذنه.



وجّه السيد ستريفر سؤاله للشاهد: «هل أنت متأكد أن السجين هو الذي رأيته بالقرب من المرفأ؟».

أجاب الشاهد: «متأكد تمامًا».

- «هل سبق ورأيت شخصًا يُشبه السجين؟».

أجاب الشاهد: «لا أظن ذلك».

قال السيد ستريفر، مشيرًا إلى الرجل الجالس إلى جواره: «أمعن النظر في الرجل الجالس هنا»، والآن، دقق النظر في السجين ثانية.



إنهما يشبهان بعضهما كثيرًا، أليس كذلك؟».

كان ذلك صحيحًا، فقد كانا يشبهان بعضهما كثيرًا، خاصة عندما أزال الرجل غير المهندم؛ وكان يدعى سيدني كارتون، شعره المستعار.

تعالت أصوات الموجودين في قاعة المحكمة من الدهشة، وأومأوا بالموافقة. وبدأ الناس يتحدثون فيما بينهم:

- «لعلهما توأمان».

- «هذا صحيح، فهما يشبهان بعضهما كثيرًا!».



- «لا يمكن تصديق الشاهد».

- «والشابة اللطيفة تعتقد أن السجين بريء».

صاح القاضي: «هدوء!»، فعاد الهدوء إلى قاعة المحكمة ثانية.

خرجت هيئة المحلفين لتنظر في حكمها بخصوص تشارلز دارني؛ وهل هو مذنب أم غير مذنب بالتجسس لصالح فرنسا.

بعد بضع ساعات من التوتر والقلق، عادت اللجنة وأصدرت حكمها ببراءة دارني.

بعد ذلك، شكر تشارلز دارني سيدني كارتون؛ الرجل الذي كان يشبهه كثيرًا.



قال كارتون: «لا داعي للشكر. لا أعرف لماذا فعلتُ ذلك على أية حال».

كان سيدني كارتون شابًّا طائشًا، وكان صديقًا للمحامي السيد ستريفر، كما كان يساعده في عمله في بعض الأحيان، ولكنه لم يهتم كثيرًا لحال الآخرين أو حتى

لحاله. ولكن كارتون صار يحسد تشارلز دارني على شيء واحد، بعد أن رأى نظرة الإعجاب في عيني لوسي للرجل الماثل في قفص الاتهام، فلم ينظر إليه أحد بهذه الطريقة. ورغم ذلك، فقد سعد بمشاركته في إنقاذ دارني.

نما الحب بين تشارلز دارني ولوسي بسرعة. كان الرجل الفرنسي يكسب قوته بتعليم البريطانيين اللغة الفرنسية، وكان كثيرًا ما يتردد على لوسي ووالدها في منزلهما.



سعد الطبيب مانيت برؤية ابنته تقع في حب الشاب الفرنسي، فقد أحبه كثيرًا. وعندما طلب دارني الزواج بابنة الطبيب مانيت، وافق على الفور.

في صباح يوم الزفاف، أراد دارني أن يتحدث مع الطبيب مانيت على انفراد. وعندما خرج الاثنان أخيرًا من غرفة الطبيب، بدا وجه السيد مانيت شاحبًا وقد تحول إلى اللون الأبيض؛ مثل لون شعره.

ما الذي دار بين الأب والرجل الذي يوشك أن يصير صهره؟ تُرى بماذا أخبره دارني؟



لم يعرف أحد، وسار الزفاف كما هو مخطط له، وعندما حان وقت سفر الزوجين لقضاء شهر العسل، ودع الطبيب ابنته وعانقها.

قال الأب: «اعتنِ بها يا تشارلز».

مضى الوقت، وعاشت لوسي وتشارلز دارني في لندن في سعادة مع الطبيب مانيت. ورزق الزوجان بابنة جميلة؛ بشعر ذهبي كشعر والدتها.

كان سيدني كارتون يتردد كثيرًا على المنزل، فقد كان يستمتع بصحبتهم، مثلما استمتعوا بصحبته. كان مغرمًا بلوسي وبعائلتها الصغيرة.



ولكن، وبينما كانت الأمور هادئة في لندن، اندلعت ثورة وحشية في باريس.



باريس

في أحد الأيام، خارج حانة السيد ديفارج وزوجته، سقط برميل من الشراب من مؤخرة عربة، فانكسر عندما اصطدم بالأرض، وانسكب الشراب في الشارع الموحل.

وفجأة، تـوقـف كـل الأشـخاص الموجودين عـما كانـوا يفـعلون، وأسـرعوا إلـى مكان سقوطه.



حاول بعضهم تناول الشراب بأيديهم، وحاول آخرون أخذ القليل منه في أكواب وأوعية مكسورة، بل إن بعضهم مضغ قطعًا من البرميل الخشبي المبللة بالشراب! كان العطش يعصف بالناس، لدرجة جعلتهم يلعقون الشراب من الطريق!

وقد بدا الناس مثل مصاصي الدماء؛ حيث كانت أيديهم وأفواههم وملابسهم البالية ملطخة باللون الأحمر، لون الدم.

بدت الواقعة كما لو كانت شرارة اندلاع الثورة، فقد اجتمع فقراء باريس فبدوا كمخلوق ضخم له آلاف الأذرع والأقدام.



لاحت شفـرات حـديدية وعـصي خشبية في الهواء، وتعالت الأصوات في الشوارع القذرة الضيقة فهزت الأرجاء كصوت الرعد.

تركت السيدة ديفارج إبر الحياكة التي كانت تعمل بها طوال الوقت، وأمسكت بفأس، ووضعت مسدسًا في حزامها وسكينًا حادة.

صاح السيد ديفارج: «تعالوا! اقتربوا أيهـا المواطنون والأصـدقاء، نحـن مستعدون! هيا إلى الباستيل!».

كان الباستيل هو السجن الذي حُبس فيه الطبيب مانيت لسنوات طويلة، ولم يكن يبتعد كثيرًا عن حانة ديفارج، وقد ضم هذا السجن ثمانية أبراج طويلة، جعلته يبدو كقلعة حصينة.

تدفقت حشود العامة والغوغاء حول جدرانه الحجرية الضخمة، ولحق بهم الجنود بمدافعهم. ووسـط الدخان والحرائق، اقتحم الناس بوابات القلعة، وكان على رأس الحشود السيد ديفارج وزوجته.



بمجرد دخولهم، انتشر المهاجمون في فناء القلعة، ووصلوا لكل ركن في السجن، وقبضوا على الحراس وأجبروهم على تحرير المسجونين.

كان فقراء باريس يستشيطون غضبًا، ولو استطاعوا تمزيق الباستيل بأيديهم العارية لفعلوا.



ولكـن السيد ديفـارج كانت لديه مهمة مختلفة؛ حيث قبض على أحد الحراس وقال له: «أين مائة وخمس؛ البرج الشمالي؟ إنها زنزانة في هذا السجن، أليس كذلك؟».

أومأ الحارس المذعور برأسه.

- «خذني إليها! وأحضر شعلة معك».

تَبِع السيد ديفارج ورجل آخر يدعى جاكوبس الحارس؛ الذي رفع شعلة بيده، وقد قادهما عبر ممرات حجرية ثم صعدوا سلالم وعرة. صارت الضوضاء التي أحدثتها الحشود المستعرة بعيدة.

بعد فترة، توقف الحارس عند باب منخفض، ووضع مفتاحًا في القفل وفتح الباب، وعندما دخل الجميع الزنزانة بعدما حنوا رؤوسهم ليعبروا بابها المنخفض، قال الحارس: «مائة وخمس؛ البرج الشمالي!».



في الزنزانة، وجدوا كرسيًّا خشبيًّا لا ظهر له، وطاولة وسريرًا من القش، ووجدوا في الجدار نافذة عالية يصعب الوصول إليها.

كان هناك أيضًا موقد مفتوح مليء بالرماد، وكان للمدخنة قضبان داخلية لمنع أي شخص من التسلق ودخول الزنزانة أو الخروج منها.

قال السيد ديفارج للحارس: «مرر هذه الشعلة ببطء بالقرب من هذه الجدران».



نفذ الحارس الأوامر، والسيد ديفارج يتابع ضوء الشعلة المصاحب بدخان بعينيه.

صاح ديفارج: «توقف. انظر إلى هنا يا جاكوبس!».

قــرأ جــاكــوبــس: «أ. م. : ألــكســاندر مانيت».

تتبع ديفارج الحروف المنقوشة في الجدار الحجري، وقرأ بجوار الحرفين أ. م. «طبيب مسكين».

قال ديفارج: «إنها زنزانته بكل تأكيد»، كان يقولها كما لو كان يُحدِّث نفسه وليس جاكوبس أو الحارس.

أمر الحارسَ برفع الشعلة لأعلى، ثم دخل الموقد ونظر إلى المدخنة.

كان ديفارج قد أحضر عتلة معه، وكشــط الحــديــد الموجـــود داخل المدخنة، فتطايرت رقائق السخام وقطع صغيرة من الحجر على رأسه، لكنه لم يُلقِ لها بالاً.

لم يتمكن الرجلان الآخران من رؤية ما يفعله، ولكن ديفارج بدا وكأنه يبحث عن شيء مخفي داخل المدخنة.

وعندما خرج إليهما، أخفى شيئًا في قمصيه المغطى بالغبار والسخام.

سأله جاكوبس: «ما هذا؟».



أجابه ديفارج: «لا شيء».

بالطبع كان يخفي شيئًا، فقد أحضر السيد ديفارج من داخل المدخنة قصة حقيقية، مكتوبة بخط يد الطبيب مانيت في ضوء زنزانته الخافت؛ يشرح فيها كيف كانت حاله في غياهب السجن، ومن زج به هناك.



فقبل فترة طويلة، استُدعي الطبيب مانيت للكشف على شاب مصــاب.

نُقل إلى منزل فخم كان يملكه الماركيز سانت إيفريموند. كان رجلاً قاسيًا، يفعل ما يحلو له مع الفلاحين الفقراء الذين وهبوا أنفسهم لخدمته.

لم يكن الشاب المصاب ينتمي لعائلة سانت إيفريموند، بل كان أخًا لفلاحة بسيطة كان الماركيز يريد أن يأخذها لخدمته، وعندما حاول أخو الفتاة أن يمنع الماركيز من أخذ أخته، طعنه إيفريموند. وفعل الطبيب مانيت كل ما في وسعه لمساعدة أخيها المحتضر، ولكنه لم يتمكن من إنقاذه.

اعترض الطبيب على جريمة الماركيز سانت إيفريموند، فقال له الماركيز إن حياة الشاب لا تختلف كثيرًا عن الطيور أو الغزلان التي يصطادها من أجل المتعة.

حاول الماركيز أن يرشو الطبيب مانيت، وعرض عليه الكثير من الذهب مقابل صمته عن جريمته، ولكن الطبيب رفض عملاته اللامعة.

كتب الطبيب مانيت خطابًا للحكومة الفرنسية، رغم أنه لم ينتظر منها الكثير. فقد كان للنبلاء أمثال هذا الماركيز نفوذ كبير، وكانوا تحت حماية الحكومة.



لقد أدرك كل ذلك عندما استُدعي لمهمة طبية أخرى ملحة.



كان الماركيز وبعض رجاله في العربة التي جاءت لاصطحابه، وأخذ الماركيز الخطاب الذي كان الطبيب قد كتبه، وأحرقه بنار مصباحه، ونُقل الطبيب معصوب العينين إلى سجن الباستيل.

ظل هناك لسنوات طويلة؛ في زنزانة منعزلة وسرية: الزنزانة مائة وخمس؛ البرج الشمالي.



كان الطبيب مانيت يتمنى لو تُكتشف قصته ويعاقب الماركيز على جرائمه، وأنهى قصته بصب اللعنات على عائلة إيفريموند.


سانت إيفريموند

لندن

تردد صدى الثورة الفرنسية في كل أنحاء القنال الإنجليزي وفي لندن، فسمع بها واستشعرها تشارلز دارني.

كان اسم دارني هو اللقب الذي أطلقه تشارلز على نفسه، فقد كان يخجل من اسم عائلته الحقيقي؛ سانت إيفريموند، فقد كان الماركيز عمه، وكان والد تشارلز لا يقل سوءًا عن أخيه.

ومن شدة يأسه من أسرته وأفعالهم الوحشية، هرب تشارلز إلى إنجلترا، وغير اسمه واستقر ليعيش حياة بسيطة ونزيهة، وكسب قوته بيده.

وقد شعر بأنه مضطر للإفصاح عن اسمه الحقيقي للطبيب مانيت صباح يوم زواجه من لوسي؛ ولهذا السبب تغير وجه الطبيب، وتبدلت حاله. فقد كان زوج ابنته الحبيبة ابن أخ الرجل الذي زج به في زنزانة في سجن الباستيل! ولكن الطبيب علم أن تشارلز كان رجلاً طيبًا، مختلفًا كل الاختلاف عن والده وعمه.



لم يكن هناك سبب يدفع تشارلز للعودة إلى فرنسا؛ خاصة الآن، بعد وفاة والده وعمه؛ وحرق منزله الفخم وتسويته بالأرض.

ولكن العامة في فرنسا ثاروا ضد قسوة حكامهم ووحشيتهم، ولم يكتفوا بحرق عدد من منازلهم الفخمة ودكها أرضًا، أو حتى شنق بعض النبلاء الأثرياء على المقصلة، بل أرادوا المزيد. كانت نار الغضب في أقوى مراحلها، وأرادوا أن يثأروا لأنفسهم، ولم يكترثوا لتدمير الأبرياء وأخذهم بذنبهم.

كان وكيل أعمال عائلة إيفريموند يدعى جابيل؛ كان رجلاً طيبًا، ولكن بسبب علاقته بعائلة إيفريموند، واجه تهديدًا بالقتل.



كتب إلى تشارلز يطلب مساعدته، ورغم تعريض نفسه لخطر هائل، قرر تشارلز العودة إلى باريس والدفاع عن هذا الرجل.



ولـم يخبـر لـوسي أو الـطبـيـب مانيت، فقد علـم أنهمـا لن يسمحا له بالمغادرة، وفضَّـل أن يكتب لهمـا خطابًا يشـرح فيه أسـبابه. وذات مساء، تسلل وخـرج مـن مـنـزله فـي لندن منطلقًا إلى باريس.

باريس

وقع تشارلز في مشكلة بمجرد وصوله إلــى فرنسا. فقــد كان ينتمــي للطبقة الأرستقراطية؛ تلك الطبقة المكروهة من العامة؛ تمامًا مثل عمه وأبيه، وكان ينتمي لعائلة سانت إيفريموند.

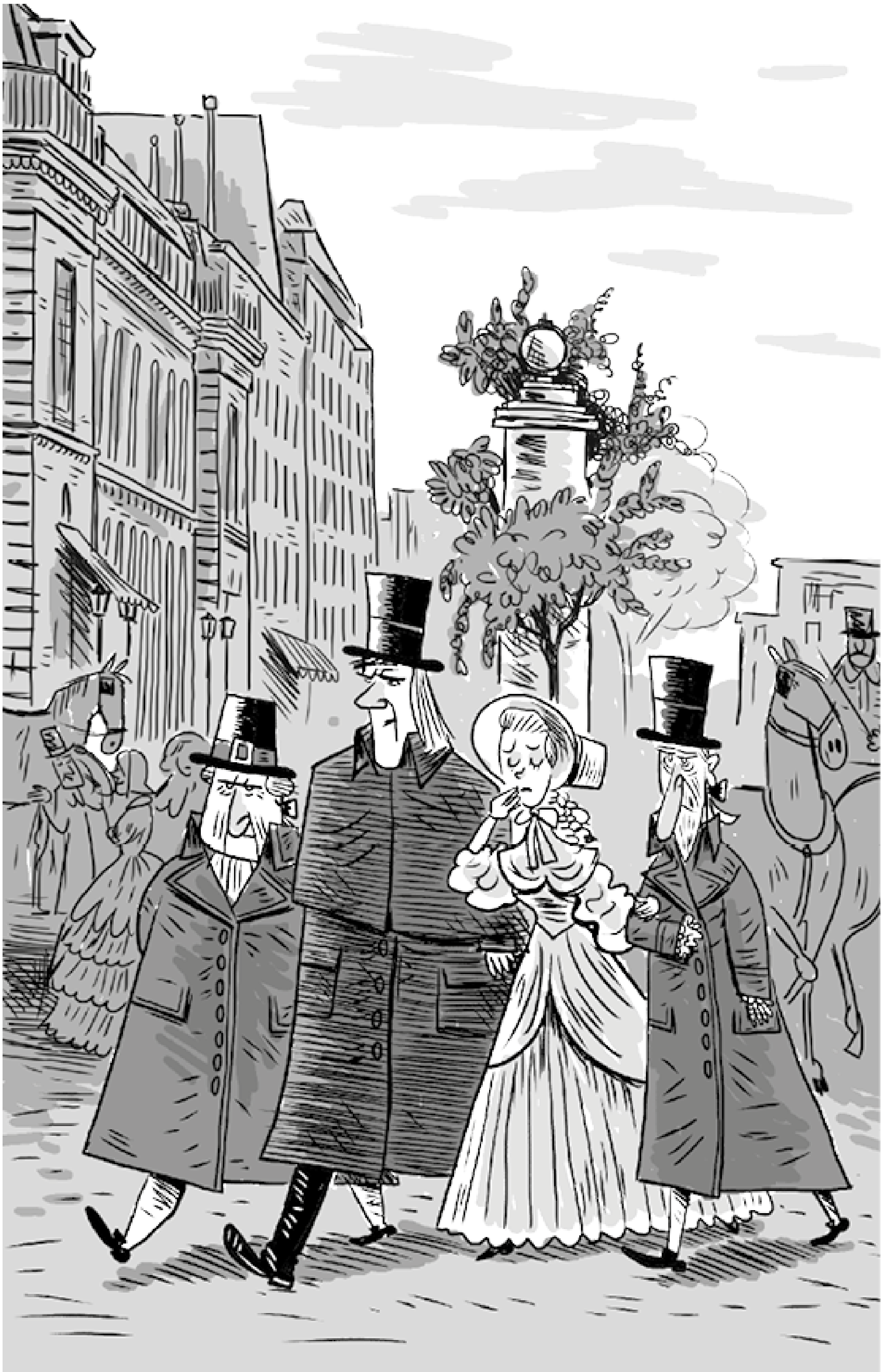


سُحب تشارلز إلى باريس وأُلقي في سجن لافورس؛ حيث أُقيمت محاكمات لمحاكمة الخونة والأرستقراطيين.

وكثيرًا ما انتهت بهم الحال بإرسالهم إلى المقصلة وقطع رؤوسهم.

واجه تشارلز خطرًا كبيرًا بسبب اسم عائلته. وأُطلق سـراح جابـيـــل، وحُبس تشارلز في زنزانته. سمعت لوسي والطبيب مانيت هذه الأخبار المفزعة، فسافرا على الفور إلى باريس، برفقة جارفيس لوري وسيدني كارتون. كان كارتون يدرس في باريس، وكان يعرف المدينة تمام المعرفة، وحاول الأربعة إنقاذ تشارلز وبذل كل ما في وسعهم.

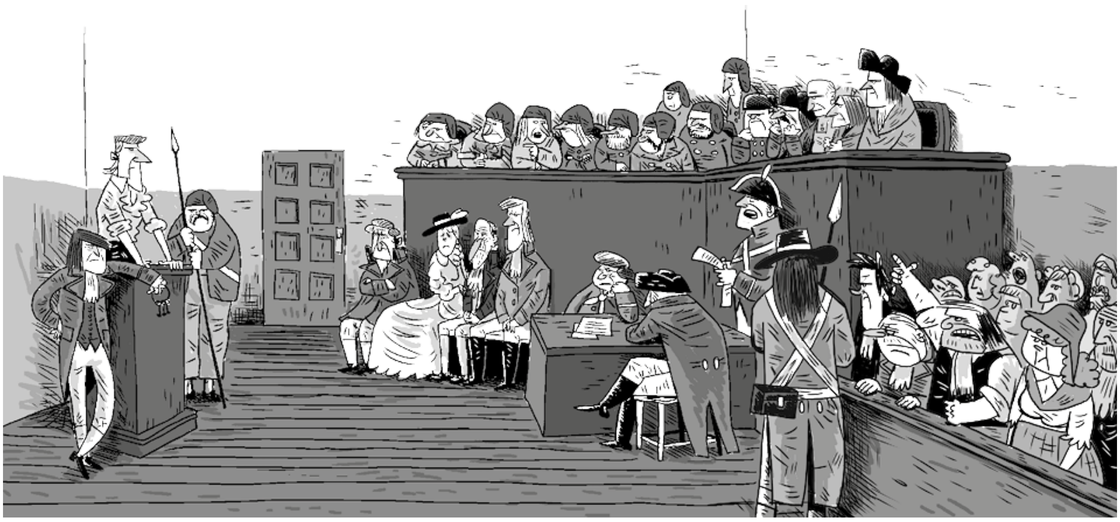
ظن الطبيب مانيت أنه قد يؤثِّر في العامة؛ فهو نفسه ضحية النظام القديم الذي ثاروا ضده.



بل إنه عوقب لمساعدته الفقراء، وهذا بالتأكيد سيجعلهم يستمعون إليه.

للمرة الثانية في حياته، وقف تشارلز في المحكمة، أمام كثير من القضاة والمدعين.

نادت الحشود في قاعة المحـــكمة بقطع رأسه، بزعم أنه عدو الدولة، ولكن تشارلز أجاب على اتهامات القضاة بهدوء، وذكر أنه صهر ألكيساندر مانيت. وتحدث الطبيب نفسه دفاعًا عن تشارلز.



بدت الأمور كأنها تسير على ما يرام، وأن من الممكن إنقاذ تشارلز . وفجأة؛ تقدم شاهد على نحو مفاجئ، بل شاهدان في الحقيقة.

كان السيد ديفارج وزوجته.



جلست مدام ديفارج في آخر قاعة المحكمة، ممسكة بإبر الحياكة، كما لو كانت تمسك بخنجرين. وشاهدت زوجها يقدم الأوراق التالفة التــي أحضرها من مدخنــة زنزانة الطبيب.

قُرئت حكاية الطبيب مانيت على مسمع الجميع، وانكشفت وفاة الشاب الذي طعنه الماركيز سانت إيفريموند.

ثم أدلت مدام ديفارج بشهادتها، وأعلنت أنها كانت أخت القتيل، وطالبت بشنق جميع أفراد عائلة سانت إيفريموند، تمامًا كما قُتل أخوها قبل زمن طويل.

في هذه الرسالة التي كتبها الطبيب مانيت عندما كان في السجن؛ يصب فيها لعناته على أفراد عائلة سانت إيفريموند، فإنه؛ ودون أن يدري، قد وقَّع بذلك على مُذكرة إعدام صهره بيده.



الأسوأ من ذلك أن آل ديفارج عزموا على الانتقام، لدرجة أنهم تآمروا ضد لوسي أيضًا، بعد أن صارت فردًا من عائلة سانت إيفريموند بزواجها بواحد منهم.





قضى تشارلز ليلته الأخيرة في زنزانة لافورس، ومرة أخرى كتب لزوجته ولوالدها، وطلب من الطبيب مانيت أن يعتني بلوسي وبابنتهما الصغيرة. وحاول أن يسلي نفسه عما سيواجهه بتخيل حياته عندما يعود إلى لندن.

سمع دقات الساعة في الخارج معلنة التاسعة.... العاشرة.... الحادية عشرة.... هذه آخر مرة سيسمع فيها هذه الدقات.

سمع وقع خطوات أقدام في الممر الحجري خارج زنزانته.

ثم سمع صوت دخول مفتاح في القفل.

انفتح الباب وأُغلق بسرعة؛ ووقف أمامه سيدني كارتون.

وضع سيدني أصابعه على شفتيه، وقال له: «القد قدمت رشوة للحارسين في الخارج ليوافقا على إدخالي».



قال تشارلز: «ماذا تفعل هنا يا سيدني؟».

قال له سيدني: «أسرع، ليس لدينا وقت. بدِّل حذاءك بحذائي، وبدل معطفك بمعطفي. أسرع!».

- «سيدني، لا سبيل للهرب من هذا السجن. سوف تموت معي، هذا جنون».

- «الجنون أن أطلب منك أن تهــرب، ولكنك ستخرج بوصفك سيدني كارتون، أنا».

بدت الحيرة على تشارلز فقال: «ولكن ماذا ستفعل؟».



- «سأظل هنا يا تشارلز، اسمعني؛ جارفيس لوري ينتظرك في عربة في الخارج. ستجد هناك لوسي والطبيب مانيت. يمكنك أن تهرب وتعود إلى إنجلترا مستخدمًا اسمي».

بدت الفكرة مغرية؛ فكرة الحرية ورؤيــة زوجتـــه وابنته ثانية!

ولــكــنه قــال: «لا أستطـيع أن أســمــح لـك بعمل ذلك. أنت بريء مثلي تمامًا».



قال له سيدني: «ولكن ليست لي زوجة أو ابنة، ولم أعرف لحياتي معنى».

عندما حكم على تشـــارلز بالإعـــدام، قـــــرر سيدني أن ينقذه، حتــى لو كان ذلـــك يـعني أن يمـوت بـــدلاً منه، وكمـــا ســـاعـــد تشارلـــز فـي أولـد بايـلي بإظهار مـدى التـشـابه بينهــما، سـوف يلعب الآن دور تشارلز.



علم سيدني أن تشارلز لن يهرب بإرادته، فشتت انتباهه بذكاء، ثم وضع منديله على فمه وأنفه.

كان المنديل مبللًا بسائل جعل تشارلز يفقد وعيه على الفور.



ثم بدل سيدني ملابسه بسرعة، ثم طرق باب الزنزانة، فجاء الحارسان، فتحدث معها بوصفه تشارلز.

قال للحارسين: «لقد فقد صديقي وعيه برؤيتي هنا. أعيداه إلى البوابة الرئيسية، هناك عربة تنتظره».

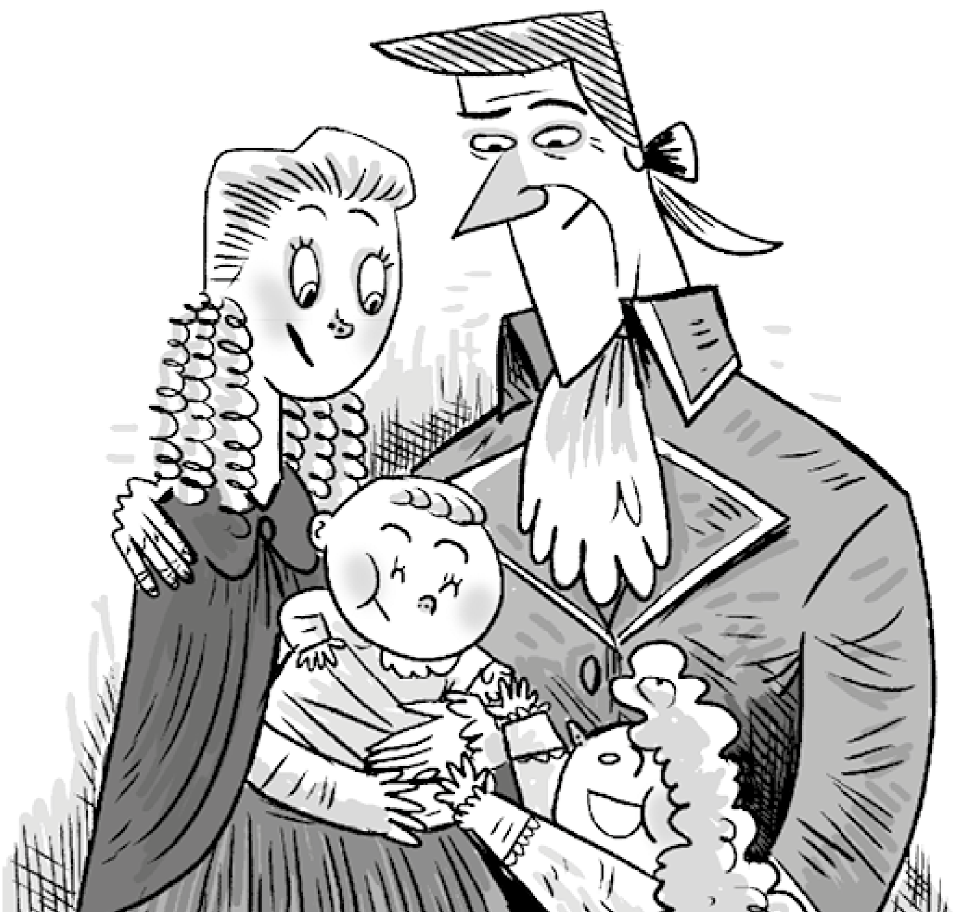
حمل الحارسان تشارلز إلى خارج السجن، بوصفه سيدني كارتون.



نجحت الخطة، ووُضع تشارلز في عربة جارفيس ولوسي ووالدها. كان الخوف يعتصرهم في كل مرة يمرون على نقطة تفتيش خشية أن ينفضح أمرهم ويُلقى القبض عليهم، ولكن الجنود أصحاب القبعات الحمراء والمواطنين كانوا يتعاملون

بأوراق الهوية التي أثبتت أن المسافر الرابع في العربة هو سيدني كارتون؛ المحامي بلندن.

وأخيرًا صاروا بأمان، ولكنهم لم ينســوا أبدًا تضحية سيدني كارتون. وعندما أنــجبت لوسي طفلاً آخر وكان صبيًا، أطلقوا عليه اسم سيدني، اعترافًا بفضل سيدني كارتـون عليهم.



ولكن ماذا حدث لسيدني كارتون؟ بعد بضع ساعات من مساعدته تشارلز على الهرب من زنزانته في لافورس، نُقِل إلى المقصلة لقطع رأسه.

اجتمعت الحشود حول المقصلة، وتعجبوا من مدى هدوء سيدني والسلام الذي بدا عليه.

راجع سيدني حياته في اللحظات الأخيرة، ولم يشعر بأي ندم.

وقال في نفسه: هذا أفضل شيء فعلته في حياتي على الإطلاق.

هذه هي الراحة التي سأحظى بها، راحة لم أعرفها من قبل.



تشارلز ديكنز

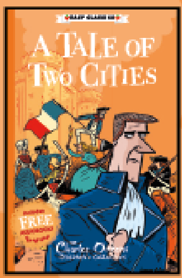
وُلد تشارلز ديكنز في بورتسموث عام 1812، لأسرة فقيرة؛ حيث عاش طفولة صعبة؛ مثل العديد من الشخصيات التي كتب عنها. وبعد بلوغه، أصبح معروفًا في جميع أنحاء العالم بكتبه، ما جعله واحدًا من أهم الكتاب والأدباء في عصره.



لتحميل أنشطة تشارلز ديكنز، يرجى زيارة

www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي



لـم تكـن باريـس مكانًـا آمنًـا للعيـش خـلال الثـورة الفرنسـية؛ حيـث تُقطـع الـرؤوس ، وتُحـرق مبـانٍ مهمـة وتُـدك أراضٍ كل يوم.



بعد إطلاق سراح الطبيب مانيت من السجن ولمِّ شمله بابنته، تصور أن حياته ستتحسن أخيرًا. لكن زوج ابنته لديه أسرار خطيرة تقود الأسرة إلى مغامرة مميتة. فإلى متى ستستمر "سعادتهما معًا" بحق؟

لشراء النسخة الإلكترونية
قارئة جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Philip Gooden
Licensor Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-438-8
282208961